محمد حمدى إبراهيم

إبراهيم تعليم الفتيات فى العصر الهيلّنستى

لدينا رسائل شخصية عديدة تنهض دليلاً على أن الفتيات كن يتلقين تعليما خاصاً بهن خلال العصر الهيلّنستى ، سواء فى مصر حيث نجد وفرة فى الوثائق البردية أو فى ممالك العالم الهيلّنستى الأخرى[1]، وسواء أكان هذا التعليم قاصراً على المرحلة الأولى أم كان مستمراً ليشمل مراحل أعلى مثل التى كان يحظى بها عادة الفتيان الذكور.

وأول مجموعة من هذه الرسائل الشخصية تتعلق بفتاه تدعى هيرايدوس Ηραιδοῦς وهى كريمة أبوللونيوس مدير (أو محافظ) إقليم أبوللونوبوليس. وفى أول هذه الرسائل نجد والدة هيرايدوس تتسائل عن السبب الذى من أجله لم تقم الابنة بتحيتها فى الخطاب الذى دونته لوالدها[2]:

"إن صغيرتى هيرايدوس عندما كتبت (رسالة) لوالدها لم تزج إلى بالتحية، ولا أدرى لماذا".

ومن الواضح أن هيرايدوس كما جاء في الرسالة قادرة على أن تكتب خطاباً بمفردها ، وهذا يرجح أنها – على الأقل – تلميذة فى المرحلة الإبتدائية. ومما ينهض دليلاً على صحة هذا الإستنتاج أن هناك جزءاً آخر من نفس الرساة تذكر فيه هذه الحقيقة صراحة[3]:

"ابعث بالحمائم والطيور التى ليس من عادتى أن أتناولها إلى . . . معلم هيرايدوس . . . وأرسل كل ما عزفت عن تناوله من أطعمة لديك بالمنزل . . . ألى معلم ابنتى كى تجعله أكثر تحمساً للتدريس لها".

ويتضح من هذا الجزء من الرسالة أن معلم هيرايدوس معلم خاص كان يقوم بالتدريس لأبناء الأسر الثرية فى منازلهم ، وأنه لذلك كان يتقاضى إلى جانب أجره عن التعليم هدايا من الأطعمة المتنوعة، علها تحفزه على بذل أقصى جهد له فى التدريس. ويخبرنا ناشر هذه البردية بأن الحديث هنا يدور فيها حول اثنين من المعلمين لا حول معلم واحد: أولهما هو معلم الفتاة هيرايدوس (سطور ٥–٧). والثانى هو معلم إبنة كاتب الرسالة (سطور ١٠–١٢). وكاتب

هذه الرسالة فى الحقيقة مجهول الشخصية بالنسبة لنا، والأرجح أنه ليس **أبوللونيوس** والد **هيرايدوس** ، وربما كان عمها أو أحد أقربائها.

وفى خطاب آخر كتبه **هيرمايوس** Ερμαῖος ' ، عم الفتاة **هيرايدوس** ، نجد العم يطلب من **أبوللنيوس** والد الفتاة **هيرايدوس** أدوات مدرسية لازمة لها ، تضم بينها كتاباً للمطالعة. ويبدو أن **هيرايدوس** كانت تعيش فى منزل عمها بعيداً عن أسرتها ، أو ربما كان والدها حاكم الاقليم مشغولا بأعباء منصبه الحكومى ، وغير قادر على متابعة أحوال ابنة وأمور تعليمها ، فترك ذلك لأخيه[٤]:

أرجوك أن تأمر القيم (الوصى) بأن يزودنا بالأدوات المدرسية مثل كتاب المطالبة اللزم لهيرايدوس:

إن عبارة βυβλίον εἰς ἀναγεινώσειν (**كتاب المطالعة**) توحى لنا بان هذه الفتاة قد تخطت مرحلة التعليم الأولية ، لأنه من المرجح أن هذا الفعل (ἀναγιγώσκω) لا يدل وفقاً لمعناه الظاهرى على مجرد القراءة ، بل يدل على الدراسة μελετᾶν ، وهو ما نستنتجه من خطاب أم مثقفة لابنها. هذا الخطاب الهام يعكس مدى حرص الأم المثقفة على أن ينال نجلها تعليماً جيداً ن ونرك بكل وضوح أن هذا أمر يقلقها بالغ القلق[٥]:

" حزنت إذا علمت من ابنة معلمنا ديوجينيس أنه قد أبحر جنوباً ، فلقد كنت أعلم علم اليقين أنه كان يبذل معكم جهداً كبيراً. كما كان حر يصاً على أن يرسل لى ، وعلى أن يحيطنى علماً بكل شئ عنك وعن صحتك.. وحينما استفسرت منه (ذات مرة) عما تقرأ (= تدرس ἀναγινώσκειν) قال إنه (النشيد) السادس (من الإلياذة). كما إنه كثيراً ما شهد وأقر بفضل مرافقكم . احرص إذن ، يا بنى أنت ومرافقكم على أن تجد أستاذاً عالى القدر، جديراً. . . "

وهناك اشارات أخرى عديدة مثل الأم التى توصى ابنها بتعلم اللغة المصرية القديمة τὰ Αἰγυπτιακά كى يصبح قادراً على تعليم ابناء طبيب مصرى مشهور[٦].

وتخبرنا الأستاذة **كلير بريو**[٧] فى مقالة هامة لها : بأن الصور التى كانت تنقش أوترسم على الفازات للفتاة فى **العصر الكلاسكى** كانت عادة تمثلها وهى تنسج على النول أو تغزل الخيوط أو تلعب الموسيقى ، ولكن الصور التى انتشرت فى **العصر الهيلّنستى** للفتيات كانت أحياناً تصور فتاة تطالع كتاباً أو تدرس. وترى بريو أن هذا ينهض دليلاً على التقدم الذى أحرزته الفتيات فى **العصر الهيلّنستى** ، وعلى النقلة الحضارية التى انعكست بالإيجاب على وضع المرأة الذى كان – كما توحى بذلك كل الشواهد والدلائل – متردياً فى **العصر الكلاسكى**.

الهوامش:

(1) W. Dittenberger, S. I. G. ii (1960), no. 578, II. 9-10:
γραματοδιδασκάλους τρεῖς, οἵτινες διδάξουσιν τοὺς παῖδα ς καὶ τὰς παρθένουξ.
(2) P.Giss. , I (1912) , no. 78, 1. 7-8 (ii A.D).
(3) P. Giss., I (1912) , no. 80, II. 5-7 & II. 10-12 (ii A.D).
(4) P. Giss., I (1912) , no. 85, II. 12-15 (ii A.D).
(5) P. Oxy. , VI (1908) , no. 930, II. 14-15
(6) P. Lond. I, (1983), no.43 .Cf. Also C. C. Edgar, A Women's Club in Ancient Alexandria , J. E. A. iv (1971) , PP. 253-254.
(7) Claire Préaux , letters privées grecques d'Égypte relatives à l'éducation Rev. Belge , viii (1929), PP. 757-777.